

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الدرس : 1 - سورة البروج - تفسير الآية 01

17-05-1998

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيها الإخوة الكرام، في سورة البروج، في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) ﴾

[سورة البروج]

فالأرض كما تعلمون تدور حول الشمس في ثلاث مائة وخمسة وستين يوماً ورُبُعاً، سرعة الأرض حول الشمس ثلاثون كيلومتر في الثانية فَمُنْذُ أَنْ الظُّهُرُ مضى ثلاثون دقيقة، فإذا ثلاثون كيلومتر بالثانية ضرب ثلاثين ؛ ألف وثمان مائة كيلو، ضرب عشرة ثمانية عشرة ألف حوالي خمسين ألف كيلومتر نحن نمشي من أذان الظهر إلى الآن، من أذان الظهر وحتى هذه الساعة قَطَعْتُ الأرض خمسين ألف كيلومتر وسرعتها ثلاثون كيلومتر في الثانية في هذه الدَّوْرَة أيها الإخوة تَمَرَّ بِبُرُوجِ، وهناك اثني عشرة بُرْجاً ؛ بُرْجِ العقرب وبرد الأسد وبرد الجدي إلخ... أحد هذه البروج هو بُرْجِ العقرب، فيه نَجْمٌ أحمر اللون ومثاقب صغير، قالوا: هذا النَجْمُ يَنْسَبُ للأرض والشمس مع المسافة بينهما ! والشمس تكبُرُ الأرض بمليون وثلاث مائة ألف مرّة، وبين الأرض والشمس مائة وخمسون كيلومتر، وهذا النَجْمُ الضعيف يَنْسَبُ للأرض والشمس مع المسافة بينهما ! رئيس أكبر قاعدة فضاء أمريكية مُسَلِّمٌ من مصر، سئل في لقاء عن الشمس فقال: الشمس لها ثلاثة أطوار ؛ الطُّورُ الأحمر، والطُّورُ الأبيض والطُّورُ الأسود، شَمْسُنَا شَمْسٌ حَمْرَاءُ اللُّونِ في منتصف عُمرها، ومضى على تألقها حَمْسَةٌ آلاف مليون سنة، ويُنْتَظَرُ في استمرار تألقها خمسة آلاف مليون سنة ! وحينما تتجاوز الشمس الطُّورَ الأوَّلَ تنتقل إلى الطُّورِ الثاني ويزيد حَجْمُهَا مراتٍ كثيرة، ثُمَّ تَنْكَمِشُ فجأةً إلى واحد بالمائة، وتقلِبُ أشعَّتُهَا من حمراء إلى بيضاء، وعِنْدَئِذٍ تتضاعفُ حرارتها أضغافاً كثيرة، ثُمَّ تَدْخُلُ الشمسُ في مرحلةٍ ثالثة وهي مرحلة السَّوَادِ، تَصَوَّرُ متر كلغ مُكَعَّبٌ من الحديد ضَعُطَ في دَرَّةٍ لا تُرَى بالعين ولا بالمجهر، وحينها تَدْخُلُ الشمسُ في مَرِحَلَةِ التَّكْدُّسِ فَتَنْكَمِشُ إلى حَجْمٍ قليل جداً من شِدَّةِ الضَّعْطِ الذي تتحمَّله وينعِدُّ خروج

الشُّعَاع منها، لأنَّ الشُّعَاع كَتَفْسِيرٍ دَقِيقٍ ذَرَاتٍ كَهَرَبَائِيَّةٍ تَخْرُجُ مِنَ الْجِسْمِ الْمُتْلَهَبِ، وَهَذَا هُوَ النُّورُ، هَذَا التُّقْبُ الْأَسْوَدُ مَقْبَرَةُ النُّجُومِ وَلَوْ أَنَّ الْأَرْضَ اقْتَرَبَتْ مِنْ هَذَا التُّقْبِ لِأَصْبَحَتْ فِي حَجْمِ الْبَيْضَةِ مَعَ الْوِزْنِ نَفْسِهِ، وَهَذَا أَحَدَتْ مَا فِي الْعِلْمِ الشَّمْسُ الْحَمْرَاءُ وَالشَّمْسُ الْبَيْضَاءُ وَالشَّمْسُ السُّودَاءُ، وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَرْدُويه وَالبِيهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْقَدْتَ النَّارَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أَوْقَدْتُ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَتْ، ثُمَّ أَوْقَدْتُ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سُودَاءٌ مَظْلَمَةٌ " مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْعِلْمِ؟ هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي وَرَدَ فِي سُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ مِنْ دَلَائِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) ﴾

[سورة البروج]

أَحَدُ الْبُرُوجِ بُرْجُ الْعُقْرَبِ، وَأَحَدُ نُجُومِهِ قَلْبُ الْعُقْرَبِ، وَيَتَسَّعُ لِلشَّمْسِ وَالْأَرْضِ وَالْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا، لِذَلِكَ أَنْتَ حِينَمَا تَرَى النُّجُومَ بَيْضَاءَ فِي اللَّيْلِ، وَلَيْسَ حَمْرَاءَ، الْبَيْضَاءُ يَعْنِي فِي الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَّةِ، وَالسُّودَاءُ لَا تَرَاهَا أَبَدًا، تُقْبُ أَسْوَدٌ كَالْمَقْبَرَةِ، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ - دَقِّقُوا مَعِيَ - فِي دَوْرَتِهَا حَوْلَ الشَّمْسِ، الْمَسَارَ إِهْلِيلِي، وَسُرْعَةَ الْأَرْضِ ثَلَاثُونَ كِيلُومِترًا بِالثَّانِيَّةِ، وَعِنْدَنَا قَانُونُ الْجَاذِبِيَّةِ، الْكُتْلُ تَتَجَاذَبُ بِحَسَبِ حُجُومِهَا مَضْرُوبًا بِجِدَاءِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا وَهَذَا الْقَانُونُ الَّذِي اِكْتَشَفَهُ نِيُوتِنٌ وَالْأَرْضُ حِينَمَا تَقْتَرِبُ مِنَ الْقَطْرِ الْأَصْغَرِيِّ، نَحْنُ عِنْدَنَا الْقَطْرُ أَعْظَمِي بِالْإِهْلِيلِيِّ، وَعِنْدَنَا الْقَطْرُ الْأَصْغَرِيُّ، الْأَرْضُ حِينَمَا تَصِلُ إِلَى الْقَطْرِ الْأَصْغَرِيِّ تَزِيدُ مِنْ سُرْعَتِهَا وَكَأَنَّهَا عَاقِلَةٌ، وَيَنْشَأُ مِنْ هَذِهِ الزِّيَادَةِ قُوَّةٌ نَائِذَةٌ تُكَافِيءُ الْقُوَّةَ الْجَاذِبِيَّةَ، وَإِلَّا تَتَجَذَّبُ الْأَرْضُ إِلَى الشَّمْسِ فَتَتَبَخَّرُ فِي ثَانِيَّةٍ وَاحِدَةٍ! لَوْ بَقِيَتْ عِلْسِرْعَتْنَا هُنَا لَنَقَلَّتْ مِنَ الْجَاذِبِيَّةِ الشَّمْسُ فَدَهَبَتْ فِي الْفَضَاءِ الْخَارِجِي، وَانْعَدَمَتْ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ فِي بَرُودَةٍ مُمَيَّتَةٍ لَمَاتَ عَلَى مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ أَحْيَاءٍ، وَالْعُلَمَاءُ قَالُوا: لَوْ أَنَّهَا تَقَلَّتْ وَأَرَدْنَا أَنْ نُعِيدَهَا إِلَى الشَّمْسِ كَافْتِرَاضٍ، قَالُوا: نَرِبِطُهَا بِمِلْيُونِ مِلْيُونِ حَبْلِ فُولَانِي، فُطِرَ الْحَبْلُ حَمْسَةَ أَمْتَارٍ، هَذِهِ الْجِبَالُ تُزْرَعُ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ الْمُقَابِلِ لِلشَّمْسِ، فَإِذَا زُرِعَتْ أَصْبَحْنَا أَمَامَ غَابَةِ مِنَ الْجِبَالِ بَيْنَ كُلِّ حَبْلَيْنِ خَمْسَ أَمْتَارٍ، وَحِينَمَا يَنْعَدِمُ الْبِنَاءُ وَالزَّرَاعَةُ، وَتَنْعَدِمُ الشَّمْسُ أَسَاسًا وَكُلُّ مَنْ هَذِهِ الْجِبَالُ يَنْحَمَلُ قُوَّةً شَدَّ مَقْدَارُهَا مِلْيُونِينَ طَنًّا، فَقُوَّةُ جَذْبِ الْأَرْضِ لِلشَّمْسِ بِقُوَّةِ تُسَاوِي مِلْيُونِ مِلْيُونِ طَنًّا، وَكُلُّ هَذِهِ الْقُوَّةِ الْمُخِيفَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَحْرَفَ الْأَرْضُ ثَلَاثَةَ مِلْمِترٍ كُلَّ ثَانِيَّةٍ، قَالَ تَعَالَى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2) ﴾

[سورة الرعد]

وقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41) ﴾

[سورة فاطر]

معنى الزوال الانجراف ولو أنها انحرقت عن مسارها لدخلت في ظلام الكون وفي برودة مميته قال تعالى:

﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88) ﴾

[سورة النمل]

قال تعالى

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (2) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (3) ﴾

(سورة البروج)

الذي خلق السماوات والأرض سوف يجمعنا جميعاً في يوم نحاسب فيه وعلاقة السماء والبروج والكواكب والمجرات والسُرعات العالية، هي بعلاقة اليوم الآخر، فالذي خلق هذا الكون لم يخلق عبثاً والذي خلق الإنسان لم يخلق سداً، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) ﴾

[سورة القيامة]

وقال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) ﴾

[سورة المؤمنون]

أيها الإخوة، إن هذه الآيات الكونية إذا لم نفكر فيها عطّلناها، وإذا عطّلناها عطّلنا ثلث القرآن، وإن لم نؤمن بالله تعالى من خلال الكون فكيف نؤمن به ؟ قال تعالى:

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (6) ﴾

[سورة الجاثية]

الإيمان عن طريق الآيات الكونية.